المحاضرة الثامنة:

الحروب وأثرها في تشكيل النظام الدولي

أولاً. مفهوم الحرب والمفاهيم المقاربة لها

1. الحرب:

عرفت المجتمعات البشرية بمجموعها ظاهرة الحرب والتي بدأت على شكل إشتباكات فردية ثم إتخذت شكلاً منظماً ابتدء بالأسرة ثم العشيرة والقبيلة، وانتهاء بالتنظيم المؤسسي الاكثر تعقيداً الذي تجسده الدولة، هذه التشكيلات على اختلاف درجة تعقيداتها التنظيمية والمؤسسية، لم تُهمل خيار للجوء الى العنف المسلح عندما تكون مصالحها واهدافها مهددة أو تتقاطع مع مصالح واهداف الآخر، عندئذ تُطرح الحرب بوصفها الحل النهائي لحسم التناقضات بعد فشل الوسائل الاخرى، فالحرب تتسم بالطابع التدميري الدموي بعد ان تتطور الى ابعادها القصوى، فالتدمير وسفك الدماء المتبادل هوَ الشكل المطور للعنف الذي تنطوي عليه الحرب.

يرى (كارل فون كلاوزفيتز) بانها أفعال القوة الموجهة لإجبار الخصم على تنفيذ الإرادة، فهي تتضمن توجيه القدرات لمُجابهة القوة المعارضة من خلال علوم وفنون الفن العسكري لتحقيق الغاية السياسية الكبرى للحرب والتي تتمثل بفرض الارادة على العدو من خلال تحقيق أهداف الحرب العسكرية بجعل العدو عاجزاً عسكرياً، فغاية الحرب ترتبط هنا بالجانب الاستراتيجي(السوق) بينما أهدافها تتعلق بالجانب العملياتي التكتيكي (التعبئة) المتمثل بتدمير قدرات العدو العسكرية، فالحرب عنده "هي استمرار لعمليات للتفاعل السياسي بين الدول لكن بأدوات مختلفة"، أمَّا (كوينسي رايت) فيرى في الحرب بأنها تتضمن مستويات عالية من النشاط العسكري، والتوتر النفسي، والسلطات القانونية الاستثنائية، والاندماج الاجتماعي.

ويذهب كينيث والتز الى تعريف الحرب على أنها "الاستخدام المنظم للعنف للسلاح بين طرفين دوليين مستقلين"، أمّا ديفيد سنغر وميلفن سمول فيذهبان الى تعريف الحرب بأنها "معارك حربية بين طرفين دوليين، أعضاء في النظام الدولي يروح ضحية الأعمال العسكرية فيه ما يزيد عن الألف قتيل".

فالحرب عنف منظم تمارسه وحدات سياسية ضد بعضها البعض ولا يُعد العنف حربا إلا إذا مورس باسم وحدة سياسية؛ فما يميز القتل في الحرب عن القتل العمد هو الشخصية التمثيلية والرسمية، أي المسؤولية الرمزية للوحدة التي يكون القاتل عميلها، وبالمثل فإن العنف الممارس باسم وحدة سياسية لا يُعد حربا إلا إذا كان موجها ضد وحدة سياسية أخرى؛ فلا يُعد العنف الذي تستخدمه الدولة في إعدام

المجرمين أو قمع القراصنة حربا لأنه موجه ضد أفراد، فيجب أن نميز بين للعنف المنظم الذي قد تمارسه أي جهة من غير الدول والعنف المنظم بين الدول في نظام.

فالحرب هي ظاهرة استخدام العنف والاكراه كوسيلة لحماية المصالح او لتوسيع النفوذ او لحسم خلاف حول مصالح او مطالب متعارضة بين جماعتين متعارضتين من البشر فالعنف المادي هو السمة المميزة للحرب والعنصر الاساسي في تعريفها لكن مع ذلك نجد احياناً ان مصطلح الحرب يطلق على الصراعات التي لا تتضمن استخدام العنف المادي مثل الحرب الاقتصادية و الحرب الافتراضية، ، كما انه في فقه القانون الدولي العام لا تقوم الحرب الا بين الدول فيهدف فيها كل طرف فيها الى حماية حقوقه ومصالحه في مواجهة الآخر من خلال استخدام القوات المسلحة بغرض فرض واقع جديد على الخصم بالشكل الذي يضمن تحقيق الاهداف التي قامت من اجلها الحرب .

2. الصراع:

ان الصراع هو تنازع الارادات الوطنية بسبب الاختلاف بين الدول في دوافعها، تصوراتها، تطلعاتها، اهداف، مواردها، و امكانياتها، مما يؤدي الى انتهاج سياسية خارجية متنافرة متعارضة اكثر من كونها متوافقة متطابقة، فكل طرف من اطراف الصراع يسعى الى تحقيق اهدافه ومنع الاخر من تحقيق ما يصبو اليه، وهوَ يأخذ اشكال عديدة فقد يكون مباشراً او غير مباشر صريح او ضمني، وتتعدد اشكاله الصراع وصوره فقد يأخذ شكلاً سياسيا، اقتصاديا، مذهبياً دعائياً، حضارياً، او حتى تكنلوجياً، كما ان ادواته تتدرج من اكثرها فاعلية الى اكثرها سلبية من (الضغط، الحصار، الاحتواء، التهديد، العقاب التفاوض و المساومة، الاغراء، التنازل، التحالف التحريض، التخريب، و التآمر)

كما ان الصراع وتحكمه قيم فلسفية وعقائدية يصعب في كثير من الاحول ان تكون موضع اتفاق بين اطرافه، وعندما تتصاعد وتائر الصراع الى حد يصعب ضبطها والتحكم بها فان حالة التناقض هذه لا يمكن ان تحل الا بزوال احد الطرفين عن طريق حرب ينتصر بها أحد اطراف الصراع على الاخر باستخدام القوة العسكرية.

ففي الوقت الذي تتعدد فيه صور الصراع واساليبه نجد ان الحرب لا يمكن ان تتم الا بصورة واحدة واسلوب واحد الا وهوَ العنف المسلح لحسم لتناقضات التي لم يعد يجدي معها استخدام الاساليب اللينة او الاقل تطرفا فالحرب تمثل نقطة النهاية في بعض الصراعات الدولية فالحرب متى وقعت لا تترك امام اطرافها الا خيار الاستمرار او الاستسلام، المقاومة او الاذعان، النصر او الهزيمة، بعكس الصراع ففي الحالة التي تسبق تصاعد وتائر الصراع الى مستويات لا يمكن التحكم فيها وضبطها و وصولها الى حالة الحرب فبالإمكان في هذه الحالة ادارة الصراع و التكيف مع ضغوطه مع وجود المقدرة النسبية لأطرافه على الاختيار بين البدائل العديدة المتاحة امامهم.

3. النزاع المُسلح:

ان ما يميز مصطلح النزاع المسلح عن الحرب حسب ماهو راجح فقها وعملا في القانون الدولي هوَ أن مصطلح النزاع المسلح أكثر شمولا للحالات التي لا يغطيها مصطلح الحرب مثل الأحوال التي تكون فيها الدولة أو الدول طرفا من اطراف نزاع مسلح في حين لا يتصف الطرف او الأطراف الاخرى بوصف الدولة رغم اتصافه بوصف المنظمة الدولية أو احتمال اتصافه مستقبلا بوصف الدولة، مثل الحروب الأهلية، حركات التمرد المسلحة ضد الدولة، الاضطرابات وأعمال الشغب، الأنشطة التي ترتكبها العصابات المنظمة الإجرامية، الأعمال الإرهابية والصراعات بين الجماعات فيما بينها والتي لا تكون الدولة طرفاً فيها.

ثانياً. أسباب الحرب:

هنالك عدة اسباب تقود الى الحرب في النظام الدولي وهذه الاسباب هي:

1. **اسباب سيكولوجية:** هنالك من يرى ان من اسباب الحرب هو النزعات العدوانية العدائية والبحث عن المكانة، فالدول يتحكم بها الافراد سواءً كانوا حكام ام محكومين، فدوافع الافراد وسلوكياتهم تنعكس على سلوك دوله، كما ان السمة السلطوية تلعب دورا في الاندفاع نحو الحرب، فضلاً عن تأثير الانماط الثقافية العدوانية تجاه الثقافات الاخرى.

2. **الاسباب الاقتصادية:** إن التمييز بين الأسباب السياسية والاقتصادية للحرب هو تمييز غير واقعي، فالدوافع السياسية الفاعلة لا يمكن التعبير عنها إلا من خلال الدوافع الاقتصادية فالدول تسعى من خلال الحرب للحصول على القوة، والاخيرة تعتمد على الموارد، لذلك فالحروب بين الدول ماهي إلا لأجل السيطرة على الأراضي الخصبة، الموارد المادية، وطرق التجارة.

3. **الاسباب الأيديولوجية والقومية:** إن كثير من الحروب الكبرى وخصوصا حروب الهيمنة هي صراعات أيديولوجية، فيشتد الصراع لأن الأطراف المتحاربة مختلفة في جميع القضايا، وفي مثل هذه الحالة، يصبح التوصل إلى تسوية في أحد المجالات أمر صعب لارتباطه بمجالات اخرى تحكمها الايديولوجية وابرز مثال على ذلك هو الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة.

كما ان العامل القومي قد يسبب الحروب فلأجل ضمان التماسك القومي قد تقوم النخب بتصوير الجماعات الأخرى كتهديد لها، فيقوى تماسك الجماعة ويُشرعن اللجوء إلى العنف القومي أو العِرقي ، فالقومية تقوم بعمليات فرز هوياتية تضع الـ(نحن) في مواجهة الـ(هم) وان محاولات الدولة القومية فرض

تعريف ضيّق للهوية على جماعات مدعومة من دول خارجية هو ما يفتح الباب لتدويل النزاع المحلي وتحويله إلى مواجهة بين دول.

4. اسباب سياسية: إن الأنظمة السلطوية والشمولية، بحكم إنعدام الشرعية وغياب المحاسبة، تخوض الحروب بشكل أكبر قياساً بالدول الديمقراطية، التي يخضع القادة فيها للمحاسبة المؤسساتية والجماهيرية، بالاضافة سرعة إتخاذ قرار الحرب في الانظمة الاستبدادية نظرا لمركزية اتخاذ القرار فيها، مقارنةً بتعدد مصادر اتخاذ قرار الحرب في دولة المؤسسات الديموقراطية

5. **الاسباب البنيوية:** احيانا قد لا تتعلق الاسباب المؤدية للحرب بعوامل فردية أو نظامية داخلية، فقد تكون اسباب الحرب تتعلق بالجوانب البنيوية للنظام الدولي الذي يتسم بغياب السلطة العليا التي تضمن الامن فيما بين الدول، ونتيجة لذلك تندفع الدول لتعزيز أمنها وقوتها، ففي ظل إنعدام الامن بسبب الفوضى، سوف تتصاعد وتيرة سباق التسلح المُتبادل بين الدول، ونتيجةً لإنعدام اليقين فان ذلك سوف يفضي للحرب نتيجة الشك المُتبادل.

ثالثاً. أجيال الحروب: لقد مرت الحروب بأجيال خمسة أساسية وهذه الاجيال هي:

1. **الجيل الأول:** تعتمد تكتيكات الخطوط والصفوف، على ارض معركة واضحة المعالم بين جيشين نظامية يمثلا دولتين في مواجهة مباشرة.

2. **الجيل الثاني:** بدأ هذا الجيل منذ منتصف القرن التاسع عشر واستمر الى نهاية الحرب العالمية الأولى، نتيجة للتطور الذي شهدته وسائل القتال وظهور الدبابات والطائرات والمدافع الثقيلة، ويرتكز هذا الجيل على إستخدام الكثافة النارية للمدفعية وبقية الأدوات القتالية قبل الاشتباك تمهيداً لتقدم المشاة للسيطرة على الارض، هذا الجيل هو من نتاجات الجيش الفرنسي.

3. **الجيل الثالث:** ظهر هذا الجيل خلال فترة الحرب العالمية الثانية نتيجة التطور الكبير في ميدان القوات البرية والجوية والاتصالات، مما سهل عمليات التنسيق بين الصنوف القتالية خلال المناورات، وارتكز هذا الجيل على مبدأ الحرب الخاطفة الذي ابتدعه الجيش الألماني.

4. **الجيل الرابع:** ويسمى بالحروب اللامتماثلة التي تذيب الحدو الفاصلة بين المقاتلين والمدنيين، وفي هذا النوع من الحروب اصبحت الفواعل من غير الدول قادرة على شن الحروب وإنتزعت من الدولة إحتكار استخدام القوة.

5. **الجيل الخامس:** تعتمد هذه الحروب على استخدام الشبكات والطائرات، فشبكات المعلومات توفر المعلومات عن الادوات والوسائل التخريبية، وتجنيد المتطوعين، بينما الطائرات تسهل تهريب الاسلحة ونقل المقاتلين، ويرتكز هذا الجيل على تحالفات المصالح بين الدول والفواعل من غير الدول، فهي

تستهدف تدمير الدول من الداخل من خلال حشد، وتعبئة، وتجنيد، باستخدام وسائل الاعلام والاتصالات الحديثية، لأجل نشر التصورات والمفاهيم المشوهة، بغية تحريك وتوجيه المجموعات عرقية، اثنية، دينية، ومؤسسات معينة، باتجاه ضرب السلطة الحاكمة وتدمير إقتصادها وخلخلة بنيتها الاجتماعية مِما يسهم في انهيار الدولة من الداخل.

رابعاً. أنواع الحروب: يمكن تصنيف الحروب الى أنواع عديدة استنادا الى معايير محددة وهذه المعايير هي

1. من حيث الشرعية:

أ. **الحرب العادلة:** فالحرب العادلة هي حالة الدفاع الشرعي ضد أي عدوان يقع على الدولة فيكون إستخدام القوة مشروع دولياً سواء تم بشكل فردي ام جماعي أم في أطار المنظمات الدولية.

ب. **الحرب الغير عادلة:** وتتمثل بالعدوان على الدول الأخرى فقد حظر ميثاق الامم المتحدة اللجوء الى إستخدام القوة في إطار العلاقات بين الدول لأجل تسوية النزاعات فيما بينها واكد على وجوب اعتماد الوسائل السلمية.

2. من حيث معيار الزمن:

أ. الحرب الاستباقية: ترتكز على اخذ زمام المبادرة من العدو والبدء بالهجوم قبل مبادرة العدو بالهجوم لوجود الأدلة بان هجوم العدو واقع لامحالة في الزمن الآني.

ب.الحرب الوقائية: القيام بالهجوم لوجود قناعة بوجود تهديد كامن مراحله الاولى حاليا، وان تجاهله سيمنح العدو أمكانية تطوير قدراته لتوجيه ضربة في المستقبل فالخطر موجود انياً، لكن لو تم تجاهله سيمنح العدو القدرة على الهجوم في زمن لاحق.

3. من حيث الفواعل ودرجة التنظيم:

أ. حروب الاستقلال: التي تقوم بها شعوب البلاد الغير مستقلة لتحقيق الاستقلال او البلاد المستقلة للحفاظ على استقلالها.

ب.الحروب الاهلية: وهي التي تندلع داخل اقليم الدولة بين مكوناتها بقصد تغيير النظام القائم او المحافظة عليه.

ت.الحروب النظامية: وهي الحروب التي تحدث بين الدول بجيوش نظامية، لأجل تحقيق اهداف سياسية، اقتصادية، عسكرية، او لأجل التوسع، أو لأسباب ايديولوجية.

ث.حروب العصابات: وهي التي تكون أطرافها جيوش نظامية في مواجهة جماعة مسلحة غير نظامية التي تعتمد على تكتيكات الهجوم المباغت والاختفاء، وضرب خطوط التموين والامداد الخلفية للجيوش لخلق البلبلة والقلق في صفوفها.

4.من حيث الوسائل:

أ. **الحروب التقليدية:** يتم فيها توظيف الأسلحة التقليدية للصنوف المقاتلة(البحرية، البرية، الجوية)، أو الاسلحة النووية التكتيكية.

ب. **الحروب النووية:** يتم اللجوء فيه الى استخدام السلاح النووي أو اسلحة الدمار الشامل.

ت.الحروب التكنو–معلوماتية والسيبرانية: وهي حروب يتم فيها استخدام القدرات العسكرية والتكنلوجية المتطورة لتحقيق التفوق في مجالات القيادة والسيطرة والاتصالات والمعلومات، برا، بحرا، جواً، وفضائياً، وتندرج ضمنها الحروب السيبرانية المتضمنة استخدام ادوات الفضاء السيبراني، ذات الصلة بالتحكم والسيطرة بأجهزة الحاسوب والمعلومات والشبكات الإلكترونية والبنية التحتية المعلوماتية والمهارات البشرية.

5.مِن حيثُ المدى:

أ. **الحروب الشاملة:** وهي الحروب التي تنخرط فيها القوى الكبرى في النظام الدولي بشكل مباشر سواء كانت تجري على مستوى اقليمي ام دولي

ب. **الحروب المحدودة:** وهي الحروب التي تحدث بين القِوى اقليمية وقد تنخرط فيها القِوى الكبرى بشكل غير مباشر.

ت. **حروب الوكالة:** تتمثل بقيام الدولة بإرسال وحدات عسكرية غير نظامية تابعة لأحد طرفي النزاع القائم في الدولة الأخرى بعد قيام الدولة المرسلة بتدريب وتجهيز تلك الوحدات بقصد التأثير على إرادة الدولة المتدخل في شؤونها.

خامساً. أثر الحروب في تشكيل النظام الدولي:

تلعب الحروب دوراً مؤثراً في تشكيل ملامح النظام الدولي وإن هذا التأثير يتم من خلال:

أ. شمولية الحرب ومركزية القوِى المتحاربة

فإعادة تشكيل النظام الدولي من عدمه يتوقف على كون القِوى المشاركة فيها هي من القوى المهيمنة فيه من عدمه واذا ما كانت الحرب تمس مكانتها ام لا فاذا ما قادت الحرب الى تغيير في مصالح القوى المهيمنة ومكانتها فان ذلك يقود الى تغيير في مكانة هذه القوى وعلاقات القوة وبالتالي اعادة تشكيل النظام وفق رؤية الطرف المنتصر وبخلاف ذلك فان النظام سوف يشهد استقرار وبقائهِ على وضعه.

ب.قدرة الاطراف المنتصرة على فرض تسوية شرعية شاملة

بعد الحرب يجب على الاطراف المنتصرة ان تحوز الشرعية للنظام الذي تقيمه وترضى به جميع القوى الكبرى الاخرى وبخلاف ذلك يبقى النظام غير مستقر، فالحروب تحدث في اطار وهيكل النظام

القائم، لكن في حالة عدم القناعة به من حيث توزيع المنافع أو بشرعة القوى المهيمنة فيه فان ذلك سوف يقود الى حروب لأجل تغييره بتغيير موقع القوى المركزية، فعدم قناعة المانيا بالنظام الدولي لعالم مابعد الحرب العالمية الأولى قاد الى اندلاع الحرب العالمية الثانية التي قادت بدورها الى تشكيل نظام دولي جديد.

ت. إعادة مأسسة النظام الدولي

قادت الحرب العالمية الثانية الى بروز الولايات المتحدة كقوة رائدة في العالم، فأصبحت أمريكا في وضع يمكنها من تحديد الشكل المستقبلي للنظام السياسي والاقتصادي العالمي، حيث قامت الولايات المتحدة بتأسيس النظام المالي، النقدي الدولي من خلال اتفاقيات بريتون وودز، كما اسهمت مع القوى المنتصرة في الحرب بالهيمنة على تفاعلات النظام الدولي من خلال إنشاء منظمة الامم المتحدة واحتكارها لحق استخدام حق النقض الفيتو في مجلس الامن من دون غيرها من الدول الامر الذي قاد الى عدم المساواة في النظام الجديد.

ث. تغيير المراكز الاقتصادية

نشأت الدول الكبرى بسبب السيطرة طرق التجارة وكانت الصراعات حول السيطرة على الشرايين الرئيسية للتجارة مصادر ثابتة للصراع بين الدول فالتغييرات في السيطرة على هذه الطرق التجارية والتغيرات في مواقع الطرق نفسها أدواراً حاسمة في صعود وتدهور الدول، كما تسهم الحرب في تغيير المراكز الاقتصادي للدول، فقد تسببت الحرب العالمية الثانية في عام (1939–1945) بدمار الاقتصاديات الصناعية الأوربية ، في حين كانت الولايات المتحدة القوة الصناعية الوحيدة التي لم تدمرها الحرب، بناتج محلي يتفوق على الناتج المحلي العالمي، وقد كان الحلفاء معتمدين على الاقتصاد الامريكي اثناء الحرب لمجابهة المانيا، هذا التفوق الاقتصادي الامريكي الذي برز نتيجة الحرب مكنها من الهيمنة على المؤسسات المالية والسياسية التي تشكلت اثناء وبعد الحرب بهدف إنشاء نظام دولي يتوافق مع تطلعاتها للنظام الاقتصادي الليبرالي، والنظام الدولي المرتكز على الامن الجماعي.